

**إشكالية نسبة المخطوط العربي، كتاب: (ترجمة ثغر
دمياط وما وقع بها من عهد نوح عليه السلام إلى آخر
دولة الترك) أنموذجا**

الدكتور / محمود محمد السيد خلف

باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية - جامعة الأزهر بالقاهرة.

إشكالية نسبة المخطوط العربي، كتاب: (ترجمة ثغر دمياط وما وقع بها من عهد نوح عليه السلام إلى آخر دولة الترك) أمودجًا

د.محمود محمد السيد خلف

ملخص البحث

هذا البحث -الموجز- يعالج قضية من أهم قضايا التراث المخطوط، إنه يلقي بعض الضوء على إشكالية نسبة المخطوط العربي إلى غير مؤلفه. وقد اتخذت من كتاب: (ترجمة ثغر دمياط وما وقع بها من عهد نوح عليه السلام إلى آخر دولة الترك) أمودجًا. وهذا الكتاب قد نُسب إلى كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي النَّصِيبِي، المتوفى في السابع والعشرين من رجب بجلب سنة (٢٥٦هـ/٤٥٢١م)، وأحد أعلام الدولة الأيوبية (٧٦٥-٨٤٦هـ/١٧١١-١٥٢١م)، والذي كان له دور بارز في الفكر الإسلامي، وصاحب كتاب: (نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر). فعرفت به وبأبرز شيوخه وتلامذته. ثم قدمت الأدلة العلمية التي تثبت أن المخطوط المذكور لم يكن من تأليفه بل من تأليف العلامة المقريري.

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، المتوفى عام: (٥٤٨هـ/٣٤٤١م)، وهو جزء من كتابه المشهور (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار). غير أني لم أفق على الدافع الحقيقي وراء نسبة هذا المخطوط إلى النَّصِيبِي، ربما يكون تعمدًا لغاية تجارية أو نفسية، أو اشتباهًا أو غفلة أو جهلاً أو غيرها.

الكلمات المفتاحية: المخطوط - التحقيق - النَّصِيبِي - ثغر دمياط - المقريري.

The Problematic Relation of Arabic Manuscripts, Al-Nusseibi as a model

Dr. Mahmoud Mohamed El Sayed Khalaf

Researcher in History and Islamic Civilization, Al-Azhar
University, Cairo

Abstract

This brief paper addresses one of the most important issues of our intellectual and cultural heritage. It sheds some light on the problem of relation of the Arabic manuscripts to their author. It was taken from Kamal Al-Din Muhammad Ibn Talha Ibn Muhammad Ibn Al-Hasan Al-Qurashi Al-Nusseibi, who died on the 27th of Rajab in Aleppo (652 AH/1254 CE) and one of the well known people of the Ayyubid state (567 648 AH/1171-1250) who had an important role in Islamic thought, and the author of the book: “Qualities of the elements of King Al-Nasser councils”. The book: “The History of the ruins of Damietta and what was happening from the era of Noah to the last state of the Turk”. was attributed to him by mistake. I introduced him and his most prominent elders and students. Then, I presented the scientific evidence that the manuscript was not written by him but it was written by Al-Maqrizi (Taqi Al-Din Ahmad Bin Ali Bin Abdul Qadir Bin Muhammad), died in (845 AH/1443 AD), which is part of his famous book “Preaching and thoughtfulness of mentioning the plans and the remains”. But I did not confirm the real

motive behind the relation of this manuscript to Al-Nussaibi, it may be intentional for a commercial or psychological end, or even the suspicion, negligence, ignorance or another intention.

Keywords: Manuscripts, verification, Ai Nassibi, the Gap of Damietta, Al-Maqrizi.

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وبعد: فإن الإسلام قد اهتم بالعلم اهتمامًا بالغًا، فرغ من شأن العلماء، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١). كما دعانا إلى الرحلة في طلب العلم، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا تَفَرُّ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢)، بل إنه من المستحب أن يدعو الإنسان ربه بهذا الدعاء المحبب إلى قلب كل مؤمن ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣). ويطول بي المقام لو تتبعْتُ كل آيات القرآن الكريم التي تدعو إلى العلم، وتحت على التفكير والنظر في ملكوت السموات والأرض.

ثم جاءت السنَّة النبوية تدعونا إلى التعلم، وإذا كانت الجنة هي الغاية التي يتمناها كل مسلم ويرجوها كل مؤمن، لذا فقد دعانا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى التعلم، فقال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَعْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْبَحْرِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَحَدَهُ أَحَدٌ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(٤). بل كان يبحث أصحابه صلى الله عليه وسلم على التعلم، فقال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ»^(٥)، والعلم من أهم الأشياء التي تنفع الإنسان بعد موته، أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»^(٦).

إن العلم الذي يطلبه الإسلام؛ هو كل علم نافع للبشرية، بل هو - كما يقول أحد الباحثين المعاصرين -: (العلم الذي يقبل المسلم عليه، ويستفتح أبوابه بقوة، ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغرب، ليس علمًا معينًا محدود البداية والنهاية. فكل ما يوسع منادح النظر، ويزيح السدود أمام العقل النهم إلى مزيد من العرفان، وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود، ويفتح له آماذًا أبعد من الكشف والإدراك، وكل ما يتيح له السيادة في العالم،

والتحكم في قواه، والإفادة من ذخائره المكونة، ذلك كله ينبغي التطلع له والتضلع فيه، ويجب على المسلم أن يأخذ بسهم منه^(٧).

وعلى ذلك فقد قسم بعض العلماء -ويأتي في مقدمتهم العلامة ابن خلدون^(٨)- العلوم في الإسلام إلى قسمين رئيسين، أولهما: العلوم النقلية، ومنها: علم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه وأصوله... إلخ، ويدخل فيها -أيضاً- علوم اللغة العربية، مثل: علم النحو، وعلم الصرف، وعلم العروض والقوافي... إلخ. ثانيهما: العلوم العقلية، ومنها: علم الطب، وعلم الكيمياء، وعلم الفلك... إلخ.

وقد بذل المسلمون أقصى جهدهم في دراسة هذه العلوم وتدوينها حتى حازوا قصب السبق في ذلك بين الأمم، بل لا تعجب إذا قلت: إن طلاب العلم في أوروبا في العصور الوسطى كانوا يرحلون إلى العالم الإسلامي لدراسة هذه العلوم على يد أساتذتهم المسلمين.

وكان طالب العلم في الإسلام يبدأ حياته بحفظ القرآن الكريم، ثم يتبع ذلك بدراسة السنّة النبوية، ولا بد له من دراسة علوم اللغة العربية، كي يستطيع أن يفهم دينه فهمًا صحيحًا. ثم سرعان ما يبرع في علم -أو أكثر- من هذه العلوم ويُصنّف فيه.

وهذه المصنّفات التي آلت إلينا من أسلافنا صانعي الثقافة الإسلامية العربية عرفت باسم (المخطوطات)^(٩)؛ وهو تراث جدير بأن نقف أمامه وقفة الإكبار والإجلال، ثم نسمو برؤوسنا في اعتزاز وشعور صادق بالفخر والغبطة والكبرياء.

وأعلم أن تحقيق النصوص إنما يهدف إلى تقديم نص صحيح مطابق لما كتبه المؤلف ما استطاع المحقق إلى ذلك سبيلاً. أما إذا تحقق وصول النسخة التي كتبها المؤلف بخطه، وثبت للمحقق أنها آخر ما ارتضاه لكتابه، فلا فائدة لأي نسخة أخرى منتسخة عنها أو من غيرها. وحين يتحقق للمحقق المدقق ثبوت نص المؤلف ما سواه أكان ذلك بوصول نسخة المؤلف التي بخطه، أم اجتماع النسخ المعتمدة على قراءة واحدة أو أي وسيلة أخرى، فإن واجب المحقق يحتم عليه إثبات ذلك النص^(١٠).

على أنه مما يُؤسف له أنه قد وقع في تراثنا -والحق يقال-: إن بعض العلماء أو النساخ -على مدى العصور- ربما يقومون -في كثير من الأحيان- بنسبة الكتاب إلى غير صاحبه، وسبب ذلك ربما يكون تعمدًا لغاية تجارية أو نفسية، أو اشتباهًا أو غفلة أو جهلاً

أو غيرها. كما أن من الكتب ما سقط منه اسم مؤلفه لعوامل طبيعية كالرطوبة والأرضة، أو غير طبيعية كحذف اسم المؤلف ووضع اسم آخر موضعه^(١١).

لذا، كانت أول خطوة يخطوها المحقق في التراث الفكري الإسلامي، لا بد أن تكون مصحوبة بالحذر، فليس يكفي أن نجد عنوان الكتاب واسم مؤلفه في ظاهر النسخة -أو النسخ- لتحكم بأن المخطوطة من مؤلفات صاحب الاسم المثبت، بل لا بد من إجراء تحقيق علمي يطمئن معه الباحث إلى أن الكتاب نفسه صادق النسبة إلى مؤلفه. يضاف إلى ذلك، أنه ليس من الأمر الهين أن نؤمن بصحة نسبة أي كتاب -كان- إلى مؤلفه، ولا سيما الكتب الخاملة التي ليس لها شهرة، فيجب أن تُعرض هذه النسبة على فهارس المكتبات وكتب التراجم، لنستمد منها اليقين بأن هذا الكتاب صحيح الانتساب^(١٢).

ومن أبرز الأمثلة على صعوبة نسبة الكتاب إلى مؤلفه الحقيقي، مخطوط يحمل عنوان:

(كتاب ترجمة ثغر^{١٣} دمياط^(١٤) وما وقع بها من عهد نوح عليه السلام إلى آخر دولة الترك، من كتاب العناصر لمجالس الملك الناصر، رحمه الله، أمين). وهو موجود في مكتبة هوتون بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية. وهو يتكون من (٣٥) لوحة، وقد كتب بخط النسخ الجميل، وبالمداد الأسود والأحمر. ويبلغ متوسط عدد الأسطر في كل صفحة (٩١) سطراً، مع وجود بعض التعليقات التي كتبت على الصفحة اليسرى في بعض الورقات. والمخطوط يوجد به نقص في ورقتين من منتصفه.

وقد جاء في أوله: (بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، هذا مجموع حسن من كلام الشيخ الإمام العالم الصالح تقي الدين المقرئ الشافعي المصري رحمه الله تعالى، ورضي عنه - منه مما يتعلق بثغر دمياط المحروس).

وجاء في آخره: (انتهى ما يتعلق بثغر دمياط من كلام الشيخ تقي الدين المقرئ الشافعي المصري رحمه الله عليه، والحمد لله وحده، تم).

نبذة مختصرة عن النصيب:

المخطوط كما يبدو من عنوانه هو جزء من كتاب: (نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر)، لأبي سالم كمال الدين محمد^(١٥) بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي

النَّصِيبِيَّ^(١٦) العدوي الشافعي^(١٧)، وُلِدَ بِالْعَمْرِيَّةِ، مِنْ قَرَى نَصِيبِينَ^(١٨)، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسَمِائَةَ (٦٨١١م). وَتَفَقَّهُ، وَبَرَعَ فِي الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ^(١٩). وَسَمِعَ بَنِيْسَابُورَ^(٢٠) مِنْ: الْمُؤَيَّدِ الطُّوسِيِّ^(٢١)، وَزَيْنَبِ الشَّعْرِيَّةِ^(٢٢). وَحَدَّثَ بِجَلَبِ^(٢٣)، وَدَمَشَقِ^(٢٤) وَغَيْرِهِمَا.

وَكَانَ صَدْرًا مُعَظَّمًا، مُحْتَشِمًا، عَارِفًا بِالْمَذْهَبِ وَالْأَصُولِ وَالْخِلَافِ^(٢٥). تَرَسَّلَ عَنِ الْمَلُوكِ، وَوَلَّى الْوِزَارَةَ بِدَمَشَقٍ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ تَرَكَهَا، وَتَزَهَّدَ، وَانْعَزَلَ عَنِ النَّاسِ^(٢٦). وَكَانَ ذَهَابَهُ إِلَى حُرَّاسَانَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَنَظَرَ بِهَا^(٢٧).

رَوَى عَنْهُ: الدِّمِيَاطِيُّ^(٢٨)، وَابْنُ الْخُلَوَانِيَّةِ^(٢٩)، وَمُجَدِّدُ الدِّينِ ابْنُ الْعَدِيمِ^(٣٠)، وَجَمَالُ الدِّينِ ابْنُ الْجُوخِيِّ^(٣١)، وَشَهَابُ الدِّينِ الْكُفْرِيُّ الْمَقْرِي^(٣٢)، وَجَمَاعَةٌ غَيْرُهُمْ^(٣٣).

وَقد ذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَمِائَةَ (٣٥١١م) أَنَّ ابْنَ طَلْحَةَ قَدْ خَرَجَ عَنْ جَمِيعِ مَا لَهُ مِنْ مَمَالِيكَ وَدَوَابِّ وَمَلْبُوسٍ، وَلبَسَ ثَوْبًا قَطْنِيًّا. وَكَانَ يَسْكُنُ الْأُمَيْنِيَّةَ^(٣٤) فَخَرَجَ مِنْهَا وَاخْتَفَى، وَلَمْ يُعْلَمَ بِمَكَانِهِ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ النَّاصِرَ صَلَاحَ الدِّينِ الْأَيُّوبِيَّ (٢٣٥-٩٨٥هـ/٧٣١١-٣٩١١م) عَيَّنَهُ لِلْوِزَارَةِ وَكَتَبَ تَقْلِيدَهُ، فَكَتَبَ هُوَ إِلَى النَّاصِرِ يَعْتَذِرُ^(٣٥).

قَالَ أَحَدُ الْمُؤَرِّخِينَ: (وَقد دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْهَدْيَانِ وَالضَّلَالِ، وَعَمِلَ دَائِرَةَ وَادَّعَى أَنَّهُ يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا عِلْمَ الْغَيْبِ وَعِلْمَ السَّاعَةِ، نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ فِي الدِّينِ. وَلَعَلَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ- رَجَعَ عَنِ ذَلِكَ)^(٣٦).

ويبدو أنه قد رجع بالفعل، ويؤيد ذلك قوله في المنجّم:

إِذَا حَكَمَ الْمَنْجَمُ فِي الْقَضَايَا بِحُكْمِ حَازِمٍ فَارَدَدَ عَلَيْهِ
فَلَيْسَ بِعَالِمٍ مَا اللَّهُ قَاضٍ فَقَلَّدَنِي وَلَا تَرَكْنِي إِلَيْهِ^(٣٧)

وله -أيضًا-:

لَا تَرَكْنِي إِلَى مَقَالِ مَنْجَمٍ وَكُلِّ الْأُمُورِ إِلَى الْإِلَهِ وَسَلِّمْ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ جَعَلْتَ لِكَوْكَبِ تَدْبِيرِ حَادِثَةٍ فَلَسْتَ بِمُسْلِمٍ^(٣٨)

مؤلفاته:

ألف النصيبي كثير من الكتب، من أشهرها:

تَحْصِيل المرام فِي تَفْضِيل الصَّلَاةِ عَلَى الصِّيَامِ.

الجفر الجامع ومصباح الثور اللامع.

الدَّر المنظم فِي الإِسْم الأعظم.

زبدة المصنفات فِي الأَسْمَاء وَالصِّفَات.

زبدة المَقَال فِي فَضَائِل الأصْحَاب والآل.

العقد الفريد للملك السعيد.

مطالب السؤل فِي مَنَاقِب الرُّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مِفْتَاح الفَّلَاح فِي اعْتِقَاد أَهْلِ الصَّلَاح.

نفائس العناصر لمجالس المَلِك النَّاصِر؛ صَلَاح الدِّين الأيوبي^(٣٩).

ثُوْنِي فِي السَّابِع والعشرين من رجب بجلب سنة (٢٥٦هـ/٤٥٢١م)، وقد جاوز السَّبْعِينَ.

دراسة المخطوط:

أما عن مخطوط (نفائس العناصر لمجالس المَلِك النَّاصِر) وهو موضوع هذا البحث الموجز، فقد ألفه النَّصِيبِي كما ذَكَر هو فِي مقدمة الكتاب بِإِشارة من السلطان صلاح الدين الأيوبي (٢٣٥-٩٨٥هـ/٧٣١١-٣٩١١م). ورتبه على: مقدمة، وأربع قواعد. المقدمة: فِي الغرض المطلوب منه. القاعدة الأولى: فِي الأخلاق. والثانية: فِي السلطة. والثالثة: فِي الشريعة. والرابعة: فِي تكملة المطلوب.

وقد وصلنا -بحمد الله تعالى- هذا الكتاب، بل وتوجد منه عدة نسخ خطية، منها: نسخة فِي مكتبة المتحف البريطاني فِي مدينة لندن بِإنجلترا تحت رقم (٠٣٥١)(٤٠)،

ونسخة في مكتبة ولي الدين في استانبول بتركيا تحت رقم (٨٤٦٢)^(٤١)، ونسختين في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، أولهما تحت رقم (٨١٢) أدب، وثانيهما تحت رقم (٣٩٣٢) أدب^(٤٢).

والمخطوط كُتِبَ بقلم نسخي جيد، وهو مشكول (مضبوط)، كتبها محمد بن شكر المالكي، حوالي سنة (٤٧٧هـ/٣٥٣١م)، وصفحة العنوان مزوقة، والنسخة مقابلة، وبها نظام التعقيبة، وأثر أكل الأرضة واضح في بعض صفحاته العليا. متوسط عدد الأسطر (٥١)، مقاس ٥,٤٢×٨١ سم. وقد جاء في أوله: (الحمد لله الذي فضل ملوك الأنام على كثير من عباده تفضيلاً، وجعلهم من حوادث الأيام في آفاق بلاده ظلاً ظليلاً، وأوضح لمن اكتنفه منهم بعنائه... وبعد: فإن أولى ما تطلعت إليه أفكار الملوك... وجاء في آخره: (نجز... علي يد العبد... عبد الرحمن بن الصفي... وذلك يوم الاثنين المبارك النصف من شهر رمضان سنة خمس وخمسين وثمانمائة (١٥٤١م)).

مَن مؤلف مخطوط (ثغر دمياط)؟!

بعد أن ثبت لدينا بالدليل صحة نسبة مخطوط (نفائس العناصر لمجالس المملك النَّاصِر) لمؤلفه أبي سالم كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي النَّصِيبِيَّ العدوي الشافعي، فهل أستطيع القول: إنه مؤلف كتاب (ثغر دمياط) أيضاً؟ أو بصيغة أخرى: هل كتاب (ثغر دمياط) مُقتبس بالفعل من كتاب (نفائس العناصر) كما جاء في غلاف المخطوط؟!.

يبدو لي أن هناك خطأ واضحاً، أو تحريف بيّن في نسبة هذا الكتاب للنَّصِيبِيَّ. فالكتاب ليس من تأليفه بل من تأليف شخص آخر. وهناك كثير من الأدلة تثبت صحة ذلك:

أولاً: أنني قد أطلعتُ -بالفعل- على مخطوط (نفائس العناصر) الموجود في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ولم أعر فيه من قريب أو بعيد على الكلام الموجود في كتاب (ثغر دمياط).

قد يدعي البعض، أنه ربما توجد نسخ أخرى من هذا المخطوط لم يتسن لي الاطلاع عليها، وربما يكون الكلام عن (ثغر دمياط) قد ورد فيها.

أقول: إن هذا أيضاً قول مجانب للصواب؛ لأن جميع المصادر التي ذكرت هذا المخطوط، وقدمت شرحاً لما ورد فيه، لم تذكر شيئاً عن ذكره (ثغر دمياط). ومما يقوي ذلك الرأي ويعضده، أن مؤلف كتاب (نفائس العناصر) قد نص في مقدمة كتابه المذكور على منهجه في الكتابة، وعمّا تضمنه الكتاب من فصول، وهي بعينها التي وصلت إلينا في كتابه المذكور، ففصول الكتاب مطابقة لما ورد في المقدمة، والمؤلف لم يشير إلى أن الكتاب يحتوي على عدة أجزاء.

وبناء على ذلك؛ فإن الكلام المذكور في مخطوط (ثغر دمياط) لم يرد له أصل في كتاب (نفائس العناصر) الموجود بين أيدينا الآن.

ثانياً: أن مؤلف مخطوط (ثغر دمياط) قد ذكر في مقدمة كتابه أنه اختصره من كلام المقرئ، ونص كلامه: (هذا مجموع حسن من كلام الشيخ الإمام العالم الصالح تقي الدين المقرئ)، فإذا تذكرنا أن المقرئ قد توفي في سنة (١٤٤١هـ/١٤٤١م)، وأن النَّصِيبِيَّ - كما ورد في ترجمته منذ قليل - قد توفي في سنة (٢٥٦هـ/٤٥٢١م)، فمعنى ذلك أنه يستحيل عقلاً أن يكون النَّصِيبِيَّ قد نقل كلام المقرئ، لأنه ببساطة شديدة قد توفي قبله بنحو (٤٩١) عامًا.

ولكن يبقى لي سؤال مهم، وهو: هل يكون المقرئ قد نقل كلامه عن مدينة دمياط من كتاب (نفائس العناصر)، وأن ما ذكره في كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) والمعروف بـ(الخطط المقرئية)، والذي دأب العلماء على دراسته، والبحث فيه، وتلقاه الجميع بالقبول، ليس من كلامه وإنما هو من كلام النَّصِيبِيَّ؟! وأنه قد آن الأوان ليعود الحق إلى أهله، وأن كتاب (ثغر دمياط) ما هو جزء من كتاب النَّصِيبِيَّ. وأن كتاب (نفائس العناصر) كان أحد الموارد الأصيلة للمقرئ في كتابه الخطط؟! وهذا ما لم يشير إليه أحد من الباحثين قبل ذلك؟!!!

ربما، ولكن لا يوجد دليل قوي يثبت صحة ذلك، أو يؤيده. بل العكس هو الصحيح، وهو أن كتاب (ثغر دمياط) جزء من كتاب المقرئ: (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، لأنه -أولاً- يتفق مع أسلوب المقرئ كما ورد في باقي كتبه.

ثانياً: أن المقرئ قد ذكر أبيات في مدح مدينة دمياط، وأقر أنها من تأليفه، وقد صرح بذلك كل من السخاوي^(٤٣) والشوكاني^(٤٤).

ثالثاً: أن المقرئ كان يرحل بنفسه لمشاهدة المعالم الجغرافية ليسجلها في كتابه. ومن ذلك حديثه عن معذنة مسجد بُحيرة دَمِيَاط، والذي قال عنه: (وَتُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ الْبَرْخَ) ثم علل ذلك بقوله: (وَلَا أَعْرِفُ مُسْتَدْتَهُمْ فِي ذَلِكَ). ثم قال: (وَشَاهَدْتُ فِيهِ عَجَبًا، وَهَوَّ أَنْ بِهِ مَنَارَةٌ كَبِيرَةٌ مُبْنِيَّةٌ بِالْأَجْرِ إِذَا هَزَّهَا أَحَدٌ اهْتَزَّتْ، فَلَمَّا صَعِدْتُ أَعْلَاهَا - حَيْثُ يَخْفُ الْمُوَدَّنَ - وَحَرَّكْتُهَا، رَأَيْتُ ظِلَّهَا قَدْ تَحَرَّكَ بِتَحْرِيكِي لَهَا. وَمَا ذَلِكَ بِعَرِيبٍ فَإِنَّ حَوْلَ هَذَا الْمَسْجِدِ رِمَمٌ أَمْوَاتٌ يُشْبِهُهُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ أُسْتَشْهِدُ فِي وَقَائِعِ الْفَرْنَجِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)^(٤٥).

رابعاً: أن المخطوط يحتوي على كثير من المعلومات التاريخية التي وقعت بعد وفاة النصيبي بكثير، ومنها -على سبيل المثال- استيلاء الملكة شجر الدر (المتوفاة عام: ٥٥٦هـ/٧٥٢١م) على الحكم في مصر، وأحوال مدينة دمياط في ظل الملك الأشرف موسى (المتوفى عام: ٦٣٨هـ/٣٣٤١م)، وأحوال مدينة دمياط في ظل الظاهر بيبرس (٥٢٦-٦٧٦هـ/٨٢٢١-٧٧٢١م). وغيرها من الأحداث التاريخية التي وقعت في ظل الدولة المملوكية.

خامساً -وأخيراً-: أن النصيبي صاحب كتاب: (نفائس العناصر) - كما ورد في ترجمته - لم تطأ قدمه أرض مصر، فضلاً عن مدينة دمياط. فكيف يتسنى له أن يقدم وصفاً تاريخياً -رائعاً وغير مسبوق- عن جغرافية عن مدينة دمياط، وعن تحول مجرى نهر النيل هناك. وهذا نص كلامه: (وَيَزْعُمُ أَهْلُ دَمِيَاطِ الْآنَ أَنَّ سَبَبَ امْتِنَاعِ دُحُولِ مَرَاقِبِ الْبَحْرِ جَعَلَ فِي فَمِّ الْبَحْرِ، أَوْ رَمْلًا تُتْرَ هُنَاكَ. وَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ حَمَلَهُمْ عَلَيْهِ مَا يَجِدُونَهُ مِنْ إِتْلَافِ الْمَرَاقِبِ إِذَا هَجَمَتْ عَلَى هَذَا الْمَكَانِ، وَجَهَلَهُمْ بِأَحْوَالِ الْوُجُوهِ، وَمَا مَرَّ مِنَ الْوَقَائِعِ. وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا يُخَافُ عَلَى الْمَرَاقِبِ عِنْدَ وُودِهَا فَمَّ الْبَحْرِ، وَكَثِيرًا مَا تَتَلَفَ فِيهِ. وَقَدْ سِرْتُ إِلَيْهِ حَتَّى شَاهَدْتُهُ، وَرَأَيْتُهُ مِنْ أَعْجَبَ مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ)^(٤٦). وانظر جيداً إلى الجملة الأخيرة من كلامه: (وَقَدْ سِرْتُ إِلَيْهِ حَتَّى شَاهَدْتُهُ، وَرَأَيْتُهُ مِنْ أَعْجَبَ مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ). ويقول في موضع آخر: (وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْأَمِيرُ الْوَزِيرُ الْمَشِيرُ الْأَسْتَاذَارُ^(٤٧) يَلْبَعَا السَّلْمِيَّ (المتوفى عام: ١١٨ هـ/٩٠٤ م) -رحمة الله عليه- أَنَّهُ لَمْ يَرَ فِي الْبِلَادِ الَّتِي سَلَكَهَا مِنْ سَمَرْقَنْدِ^(٤٨) إِلَى مِصْرَ أَحْسَنَ مِنْ دَمِيَاطِ هَذِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَغْلُو فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ شَاهَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ أَحْسَنُ بَلَدٍ وَأَتْرَهُه)^(٤٩).

أهذا من كلام النصيبي!!؟

كلا، بل الصحيح أنه من كلام المقرئ، الذي عاش في مصر، وعشق ترابها، وسجل تاريخها في كتبه القيمة، التي ما زال الجميع ينهل منها حتى اليوم. اقرأ كلامه وهو يتحدث عن أرض مصر، فيقول: (وكانت مصر هي مسقط رأسي، وملعب أترابي ومجمع ناسي، ومغنى عشيرتي وحامتي، وموطن خاصتي وعامتي، وجؤجؤي الذي ربي جناحي في وكره وعش مأربي فلا تهوى الأنفس غير ذكره لا زلت منذ شذوت العلم وآتاني ربي الفطانة والفهم أرغب في معرفة أخبارها وأحب الأشراف على الاعتراف من آبارها، وأهوى مسألة الركبان عن سكان ديارها فقيدت بخطي في الأعوام الكثيرة، وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب، أو يحويها لعزتها وغرابتها أهاب^(٥٠). هكذا عاش المقرئ في مصر التي أحبها، وعشق ترابها، ودفن في أرضها.

خلاصة القول، أن مخطوط (ثغر دمياط) هو ملخص من كلام تقي الدين المقرئ، وهو جزء من كتابه المشهور (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، وليس من كتاب (نفائس العناصر) للنصيبي.

ولكن يبقى السؤال المهم: مَنْ هو صاحب مخطوط (ثغر دمياط وما وقع بها من عهد نوح عليه السلام إلى آخر دولة الترك)!!؟

بكل أسف، ذلك مجهول لدي. فلم أعثر على أية إشارة من قريب أو بعيد تدلنا على صاحب هذا الكتاب، أو بصيغة أصح: على مَنْ اختصره. فلعل الزمان يجود علينا أو على أحد الباحثين المعاصرين فيقدم لنا إجابة علمية واضحة على هذا السؤال، كي يعود الحق إلى أصحابه، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ.

صفوة القول، أنه ليس من المعقول في دراسة المخطوط العربي ولا من الأمانة العلمية ولا من الخلق الإسلامي أن يُنسب الشيء إلى غير أهله فالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ. وتبقى صعوبة البحث في المخطوطات العربية على الرغم من التقدم العلمي الكبير الذي تشهده الجامعات العربية والجامع العلمية قائمة، إلى أن يأذن المولى عز وجل بميلاد جيل جديد يحمل هم البحث العلمي الدقيق، ويتحرى الأمانة العلمية والمشقة المادية في تحقيق المخطوط العربي ليُقدِّمه إلى العالم في ثوبٍ علميٍّ قَشِيبٍ وَحُلَّةٍ بَهِيَّةٍ زَكِيَّةٍ يليق به وبما يحمله من معلومات مهمة للإنسانية.

الخاتمة

هذه خاتمة أحاول أن أبلور فيها أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث، وهي:

أولاً: أثبت البحث أن بعض النساخ في العصور الإسلامية -للأسف الشديد- كانوا يقومون بنسبة الكتاب إلى غير صاحبه، والسبب في ذلك ربما يكون تعمدًا لغاية تجارية أو نفسية، أو اشتباهًا أو غفلة أو جهلاً أو غيرها.

ثانيًا: أثبت البحث أن مهمة المحقق في التراث الفكري الإسلامي، لا بد أن تكون مصحوبة بالحذر، فليس يكفي أن نجد عنوان الكتاب واسم مؤلفه في ظاهر النسخة لتحكم بأن المخطوطة من مؤلفات صاحب الاسم المثبت، بل لا بد من إجراء تحقيق علمي يطمئن معه الباحث إلى أن الكتاب نفسه صادق النسبة إلى مؤلفه.

ثالثًا: أثبت البحث أن محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي النَّصِيبِيّ، كان صدرًا مُعَظَّمًا، محتشمًا، عارفًا بالمذهب الشافعي وأصوله، وقد ولي الوزارة بدمشق، فارتفع شأنه في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، ونظرًا لهذه المكانة الاجتماعية التي وصل إليها، ربما وضع بعض النساخ اسمه على بعض الكتب ومنها مخطوط (ثغر دمياط)، لأغراض تجارية أو لتحقيق مكاسب مادية من وراء بيع المخطوط؛ لاسيما وقد كان النَّصِيبِيّ يحظى بشهرة واسعة في ظل الدولة الأيوبية، وقد تمددت هذه الشهرة بين الأوساط الفكرية في ظل الدولة المملوكية.

رابعًا: أثبت البحث بالتفصيل، أن مخطوط (ثغر دمياط) هو ملخص من كلام تقى الدين المقرئزي، بل هو جزء من كتابه المشهور (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، وليس من كتاب (نفائس العناصر) للنَّصِيبِيّ.

خامسًا -وأخيرًا-: من التوصيات المهمة للبحث، أن دراسة المخطوط العربي -على الرغم من التقدم العلمي الكبير الذي تشهده الجامعات العربية والمجامع العلمية- ما زال صعبًا يحتاج إلى باحثين مجدين يحملون هم البحث العلمي الدقيق، ويتحرون الأمانة العلمية في التحقيق. وأهمس في أذن أثرياء المسلمين والجامعات العربية والمجامع العلمية إلى ضرورة تقديم الدعم المالي اللازم لمراكز تحقيق التراث، حتى يتسنى لشباب الباحثين التفرغ لدراسة وتحقيق المخطوط العربي، فهو عمل شاق لا يتحملة إلا أولي العزم من طلاب العلم.

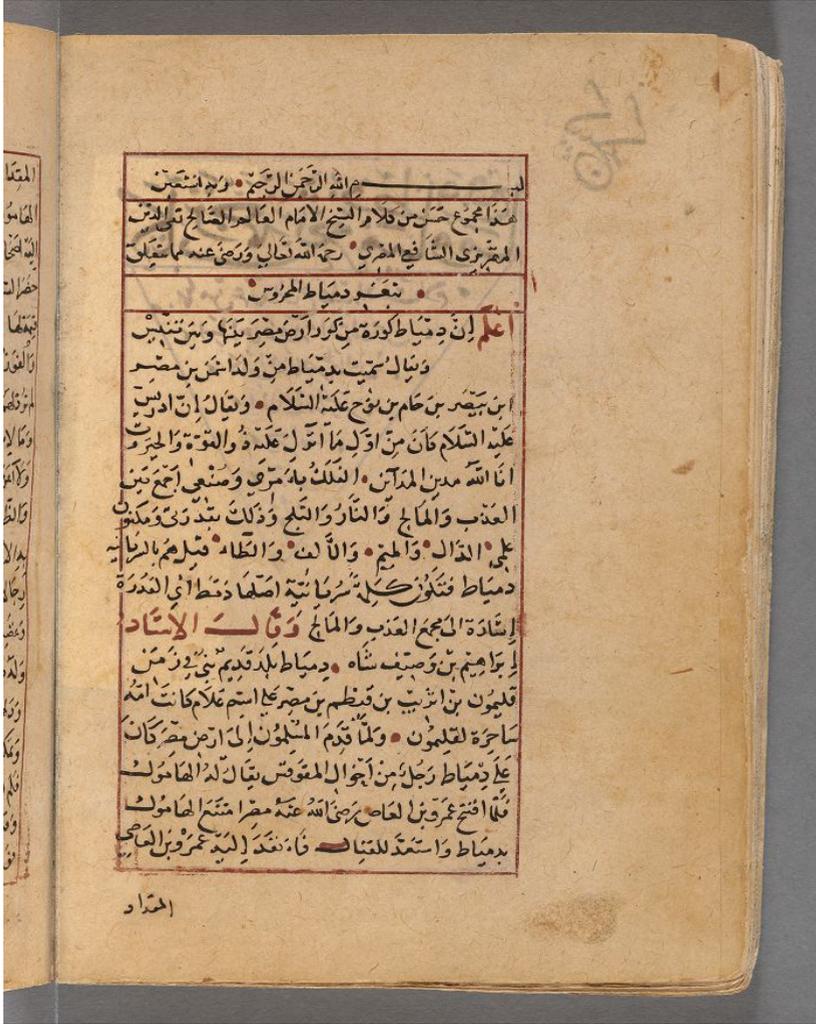
الملاحق

ملحق رقم (١)

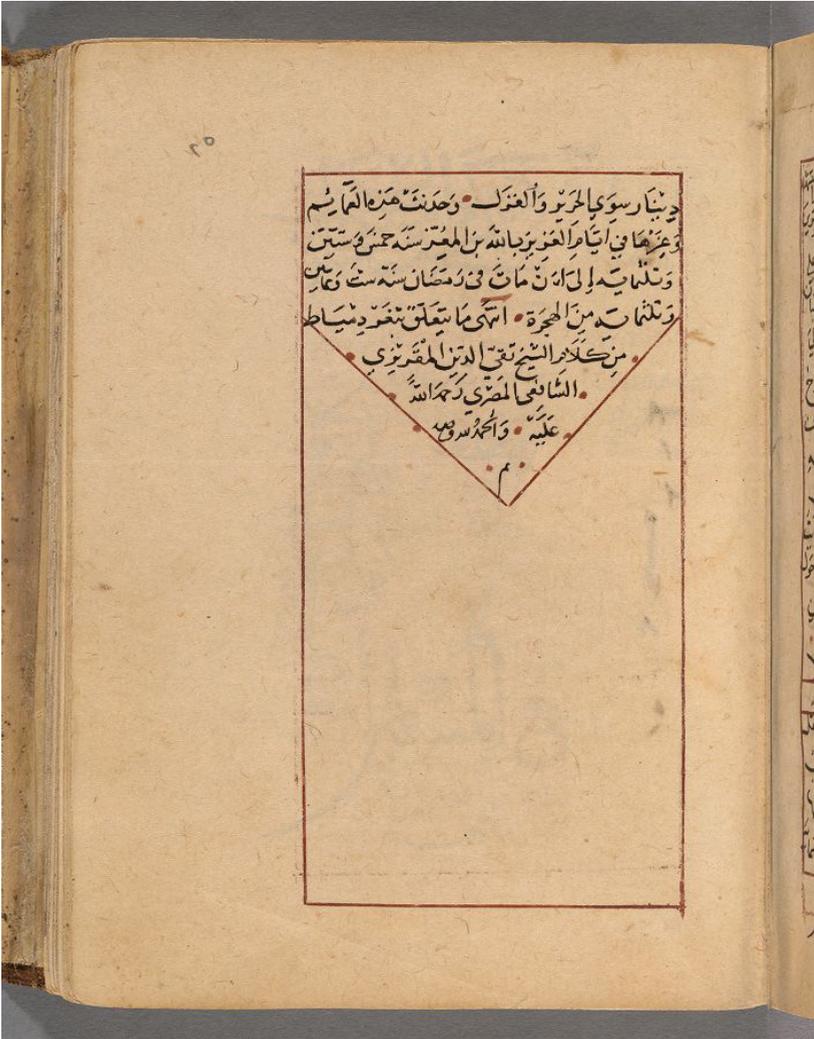
صورة من مخطوط: «كتاب ترجمة ثغر دمياط وما وقع بها من عهد نوح عليه السلام إلى آخر دولة الترك، من كتاب العناصر لمجالس الملك الناصر».



اللوحة الأولى من المخطوط



اللوحة الثانية من المخطوط



اللوحة الأخيرة من المخطوط

الهوامش والتعليقات

- (١) سورة المجادلة: آية ١١، ويقول الإمام الطبري في تفسيره: (إن بالعلم لأهله فضلاً وإن له على أهله حقاً، ولعمري للحق عليك أيها العالم فضل، والله معطي كل ذي فضل فضله). (محمد بن جرير بن يزيد الأملّي، المتوفى عام: ٣١٠هـ/٦٢٢م): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة: الأولى، القاهرة، دار هجر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، (٢٣/٢٤٧).
- (٢) سورة التوبة: آية ١٢٢.
- (٣) سورة طه: آية (١١٤).
- (٤) سنن الدارمي: (١/٣٦١) حديث رقم (٣٥٤)، سنن ابن ماجه: (١/٨١) حديث رقم (٢٢٣)، سنن أبي داود: (٣/٣١٧) حديث رقم (٣٦٤١).
- (٥) صحيح البخاري: (١/٢٤) حديث رقم: (٧١)، صحيح مسلم: (٢/٧١٨) حديث رقم (٩٨).
- (٦) صحيح مسلم: (٣/١٢٥٥) حديث رقم (١٤)، سنن النسائي: (٦/٢٥١) حديث رقم (٣٦٥١).
- (٧) محمد الغزالي: حُلُق المسلم، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٣م، (ص: ٢٣٠).
- (٨) ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المتوفى عام: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): المقدمة، تحقيق: د.على عبد الواحد وافي، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٦م، (٣/٩٣) وما بعدها.
- (٩) المخطوط: المَكْتُوب بالخط لا بالمطبعة، و(جمعها): مخطوطات. والمخطوطة: النُّسخة المَكْتُوبَة بِالْيَدِ. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، الطبعة: الأولى، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م، (١/٢٤٤). والتسمية مأخوذة من الكتابة الخطية Calligraphy، وهي تعني طريقة تسجيل رموز الكلام باليد. ويقابله المطبوع، وهو: الكتاب المنسوخ بالمطبعة. عبد الهادي الفضلي: (دكتور): تحقيق التراث، الطبعة: الأولى، جدة، مكتبة العلم، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، (ص: ٣٤).
- (١٠) بشار عَوّاد معروف: (دكتور): تحقيق النصوص، الطبعة: الأولى، تونس، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٩م، (ص: ١٢٣).
- (١١) د.عبد الهادي الفضلي: تحقيق التراث، (ص: ٣٤).
- (١٢) عبد السلام محمد هارون: تحقيق النصوص ونشرها، الطبعة: الثانية، القاهرة، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، (ص: ٤١-٤٢).

(١٣) الثغر: الفرجة في الجبل وتحوه والموضع يخاف هجوم العدو منه، ومنه سميت المدينة على شاطئ البحر ثغراً (جمعها) ثغور. المعجم الوسيط، (٩٧/١).

(١٤) دِمِيَاطُ: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق، وهي ثغر من ثغور الإسلام. بينها وبين مصب هذا الفرع في البحر المتوسط (١٥) كيلو متراً. وكانت دمياط الأصلية واقعة في الجهة الشمالية من دمياط الحالية ونُقلت إلى مكانها الحالي من سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م). ياقوت الحموي: (ياقوت بن عبد الله الرومي، المتوفى عام: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م، (٤٧٢/٢)، محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، الطبعة: الأولى، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٠م، (١: ١٨/٢).

(١٥) المقرئ: (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، المتوفى عام: ٨٤٥هـ/١٤٤٣م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، (ج١/٢ ق ٣٩٦) وفيه: (مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هِبَةَ اللَّهِ بْنِ طَلْحَةَ)، وعنه نقل بدر الدين العيني: (محمود بن أحمد بن موسى، المتوفى عام: ٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: د. محمود رزق محمود، الطبعة: الثانية، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، (ص: ٩٤، ٩٥)، حاجي خليفة: (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، المتوفى عام: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الطبعة: الأولى، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٤١م، (ص: ٣٦٠، ٥٩٢، ٧٣٤، ٩٥٤، ١١٥٢، ١٧٦٠، ١٩١٥، ١٩٦٦)، إسماعيل البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ب-ت)، (٢/ ٤٩٩)، وكتابه: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، الطبعة: الأولى، استانبول، وكالة المعارف، ١٩٥٥م، (١٠/١٠٥، ١٠٤).

(١٦) المقرئ: (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، المتوفى عام: ٨٤٥هـ/١٤٤٣م): المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، الطبعة: الأولى، تونس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م، (٥/٧٥٤، ٧٥٣).

(١٧) ابن كثير: (عماد الدين إسماعيل بن عمر، المتوفى عام: ٧٧٦هـ / ١٣٦٤م): طبقات الشافعيين، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الطبعة: الأولى، ليبيا، دار المد الإسلامي، ٢٠٠٢م، (١/٨٧٧)، ابن قاضي شهبة: (أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، المتوفى عام: ٨٥١هـ / ١٤٤٧م): طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، الطبعة: الأولى، بيروت، علم الكتب، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، (٢/٤٥٢-٤٥٣).

(١٨) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام، وبين دنيسر يومان، وعليها سور كانت الروم بنته وأتمه أنوشروان الملك الفارسي عند فتحه إياها، ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٤/٢٣١).

(١٩) السبكي: (تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، المتوفى عام: ٧٧١هـ / ١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلوة، د. محمود محمد الطناحي، الطبعة: الثانية، القاهرة، دار هجر، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، (٨/٦٣)، الإسنوي: (جمال الدين عبد الرحيم، المتوفى عام: ٧٧٢هـ / ١٣٣١م): طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، (٢/٥٠٣).

(٢٠) تيسابور: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، خرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين مرو الشاهجان ثلاثون فرسخًا، وهي إحدى مدن خراسان، فتحها المسلمون في أيام عثمان بن عفان، على يد عبد الله بن عامر رضي الله عنه، وبنى بها جامعًا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٥/٣٣١)، البغدادي: (عبد المؤمن بن عبد الحق، الحنبلي، المتوفى عام: ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، (٣/١٤١١).

(٢١) هو: المؤيد بن محمد بن علي بن حسن، رضي الله عنهما أبو الحسن الطوسي المقرئ، (٥٢٤-٦١٧هـ / ١١٢٩-١٢٢٠م)، مسند خراسان. وسمع (صحيح مسلم) من الفراوي، و(صحيح البخاري) من جماعة، وعدة كتب وأجزاء، وانتهى إليه علو الإسناد بنيسابور، ورحل إليه من الأقطار. توفي ليلة الجمعة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وستمائة. ابن خلكان: (أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم، المتوفى عام: ٦٨١هـ / ١٣٨٣م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. مريم قاسم طويل، وآخر، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، =

- (٢١) = (٣٤٥/٥)، الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى عام: ١٣٤٨/هـ ٧٤٨/م): سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة: الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (١٠٤/٢٢)، ابن العماد الخنبلي: (عبد الحي بن أحمد بن محمد، المتوفى عام: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، وآخر، الطبعة: الأولى، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، (١٣٨/٧).
- (٢٢) هي: أُمُّ الْمُؤَيَّدِ الشَّعْرِيَّة (٥٢٤-٦١٥هـ/ ١١٣٠-١٢١٨م) زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني الشَّعْرِي، أُمُّ الْمُؤَيَّدِ، فقيهة، لها اشتغال بالحديث. أخذت عن جماعة من كبار العلماء، رواية وإجازة. وُلدت وثُوفيت بنيسابور، وانقطع بموتها إسناد عمال في الحديث. ابن خلكان: وفيات الأعيان: (١/١٩٧)، ابن تغري بردي: (أبي المحاسن يوسف الأتابكي، المتوفى عام: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة: الأولى، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧م، (٥/٩٢)، (٦/١٨١)، ابن العماد: شذرات الذهب، (٥/٦٣)، خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة: الخامسة عشر، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، (٣/٦٦).
- (٢٣) حَلَبٌ: مدينة عتيقة رومية، فيها أبنية مكينة، وهي بلد حسن في وطاء من الأرض، وله مرفأ جيد محكم، وقلعتان متصلتان على تلٍ مشرف على الرِّبض وهي إحدى مدن الجمهورية السورية حاليًا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٢/٢٨٢)، البغدادي: مراصد الاطلاع، (٣/١١٩٤).
- (٢٤) دمشق: قصبة مشهورة ببلاد الشام، سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا. وقيل: نسبة إلى دماشق بن قاني بن مالك بن سام، فُتحت على يد خالد بن الوليد عام (١٤هـ/ ٦٣٥م) وأسمها القديم دمسكو، وهي عاصمة الجمهورية السورية حاليًا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٢/٤٦٣).
- (٢٥) أبو شامة: (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، المتوفى عام ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م): تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق: السيد عزت العطار، الطبعة: الثانية، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٤م، (ص: ١٨٨)، اليافعي: (عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان، المتوفى عام: ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل منصور، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، (٤/١٢٩، ١٢٨).

- (٢٦) الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المتوفى عام: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وآخرون، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (١٧٦/٣).
- (٢٧) ابن كثير: (عماد الدين إسماعيل بن عمر، المتوفى عام: ٧٧٦هـ/١٣٦٤م): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، (١٨٦/١٣)، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، (٣٣/٧).
- (٢٨) هو: عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (٦١٣-٧٠٥هـ/١٢١٧-١٣٠٦م)، أبو محمد، شرف الدين: حافظ للحديث، من أكابر الشافعية. ولد بدمياط. وتقل في البلاد، وتوفي فجأة في القاهرة. كان مليح الهيئة، حسن الخلق، بسامًا، فصيحًا لغويًا مقررًا، جيد العبارة، كبير النفس، صحيح الكتب. له كثير من المؤلفات. ابن حجر: (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى عام: ٨٥٣هـ/١٤٤٩م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، الطبعة: الأولى، القاهرة، دار أم القرى للطباعة والنشر، (ب-ت)، (٤١٧/٢)، ابن العماد: شذرات الذهب، (١٢/٦)، الشوكاني: (محمد بن علي الشوكاني، المتوفى عام: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الطبعة: الأولى، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٢٩هـ/١٣٤٨م، (٤٠٣/١)، الزركلي: الأعلام، (١٧٠/٤).
- (٢٩) هو: أبو العباس أحمد ابن المسلم بن حماد الأزدي الدمشقي. (٦٠٤-٦٦٦هـ/١٢٠٧-١٢٦٧م) سمع من أبي القاسم ابن الحرساني فمن بعده، وكتب العالي والنازل، ورحل إلى بغداد، ومصر، والإسكندرية، وخرج (المعجم). وتوفي في حادي عشر ربيع الأول. الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى عام: ٧٤٨هـ/١٣٤٨م): العبر في خبر من غير، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، (ب ت)، (٢٨٣/٥-٢٨٤)، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، (٢٢٦/٧-٢٢٧)، ابن العماد: شذرات الذهب، (٥٦٠/٧).
- (٣٠) هو: مجد الدين عبد الرحمن بن الصّاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة العقيلي الحلبي الحنفي. سمع حضورًا من ثابت بن مشرف، وسماعًا من أبي محمد بن الأستاذ، وخلق كثير. وكان صدرًا، مهيبًا، وافر الحشمة، عالي الهمة والرّتبة، عارفًا بالمذهب والأدب، مبالغًا في التجمل والترفع، مع دين تامّ، وتعبّد وصيانة، وتواضع للصّالحين. توفي في ربيع الآخر سنة سبع=

= وسبعين وستمائة (١٢٧٨ م) عن أربع وستين سنة. ابن العماد: شذرات الذهب، (٦٢٤/٧).
(٣١) هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمود، (٦٨٣-٧٦٤ هـ/١٢٨٤-١٣٦٣ م) أبو العباس ابن الجوحى، له اشتغال بعلم الحديث. من أهل دمشق. خرّج له الجمال السرمرى وآخرين، وحدث عنه الوعاظ. وقيل: كانت له مشيخة كبيرة. ابن حجر: الدرر الكامنة، (٢٥٠/١)، الزركلى: الأعلام، (٢٢٤/١).

(٣٢) هو: شرف الدين أحمد بن الحسين بن سليمان الدمشقي الحنفي، المعروف بابن الكفري. أخذ عن أبيه وغيره، وناب في الحكم مدة، واشتغل، وتقدّم، ثم استقلّ بالحكم مدة أولها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (١٣٥٦ م)، ونزل عن القضاء لولده يوسف سنة ثلاث وستين، وأقبل على الإفادة والعبادة، وأقرأ القرآن بالروايات، حتّى مات في سنة ست وسبعين وسبعمائة (١٣٧٤ م) عن خمس وثمانين سنة وقد كُفّ بصره. ابن حجر: (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى عام: ٨٥٣ هـ/١٤٤٩ م): إنباء العُمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، الطبعة: الأولى، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م، (١٠٤/١-١٠٥)، وكتابه: الدرر الكامنة، (١٢٥/١)، ابن العماد: شذرات الذهب، (٤١٤/٨).
(٣٣) اليافعي: مرآة الجنان، (١٢٨/٤).

(٣٤) تقع قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي بدمشق المسمى قديماً بباب الساعات. وهي شرقي المدرسة المجاهدية جوار قسارية القواسين بظهر سوق السلاح. وتعرف هذه المحلة قديماً بحارة القباب وهناك دار مسلمة بن عبد الملك. قيل: أمّا أول مدرسة بنيت بدمشق للشافعية بناها أتابك العساكر بدمشق وكان يقال له أمين الدولة. وقيل: بناها أتابكية عسكر دمشق أمين الدين كمشتكين بن عبد الله الطغتكيني. وتوفي أمين الدين في سنة أربعين وخمسائة (١١٤٥ م) وكان وقف هذه المدرسة سنة أربع عشرة وخمسائة (١١٢٠ م) ووقف عليها غالب ما حولها من سوق السلاح وقسارية القواسين». النعيمي: (عبد القادر بن محمد الدمشقي، المتوفى عام: ٩٢٧ هـ/١٥٢٠ م): الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م، (١/١٣٢ ١٣٣).

(٣٥) ابن العماد: شذرات الذهب، (٢٥٩/٥).

- (٣٦) الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى عام: ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام التدمري، الطبعة: الثانية، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، (١٣٤/٤٨)، وكتابه: العبر، (٥/٢١٣).
- (٣٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، (٢٣/٢٩٣ ٢٩٤).
- (٣٨) ابن العماد: شذرات الذهب، (٧/٤٤٧).
- (٣٩) حاجي خليفة: كشف الظنون: (٢/١٩٦٥)، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفين الكتب العربية، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ب ت)، (١٠٤/١٠)، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، (٢/١٢٥)، الزركلي: الأعلام، (٦/١٧٥).
- (٤٠) فهرس مخطوطات مكتبة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية: (٣٦/٢٣٥)، تحت رقم: (٣٤٨٠٠) أدب.
- (٤١) طه محسن: (دكتور): المخطوطات العربية النادرة في تركيا، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة: الأولى، القاهرة، (ب ت)، (ص: ٧٠٧).
- (٤٢) فهرس المخطوطات بمعهد المخطوطات العربية: (ج١ / ١ / ق٦ / ص: ١٥٨-١٥٩).
- (٤٣) السخاوي: (محمد بن عبد الرحمن بن محمد، المتوفى عام: ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الطبعة: الأولى، بيروت، دار مكتبة الحياة، (ب ت)، (٢/٢٥).
- (٤٤) الشوكاني: البدر الطالع، (١/٨١).
- (٤٥) اللوحة رقم ٥٢.
- (٤٦) اللوحة رقم ٤٢.
- (٤٧) هو: كبير الخدم عند الملوك والعظماء. دوزي: (رينهات): تكلمة المعاجم العربية، ترجمة: د. محمد سليم النعيمي، الطبعة: الأولى، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٠م، (٨/٢٠٢).
- (٤٨) سمرقند: المدينة الثانية في إقليم الصغد، وتقع هذه المدينة على نهر زرافشان - رافد نهر جيحون - وسمرقند مدينة إسلامية تضرب بجذورها في التاريخ. فهي تبعد عن بخارى بنحو مائة وخمسين ميلاً وتقوم على مسافة قصيرة من الضفة الجنوبية لنهر الصغد على مكان مرتفع قليلاً من الأرض. وقد قعت تحت الغزو الروسي البغيض في عام (١٨٦٨م/١٢٧٣هـ)، فتغيرت ملامحها الجغرافية، ثم عادت إليها الحياة مرة ثانية وذلك بعد حصول أوزبكستان على استقلالها في =

- (٤٣/١٣٤٣هـ/١٩٢٤م). وصارت سمرقند جزءاً أصيلاً من هذه الدولة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٣/٢٤٧)، محمود محمد خلف: (دكتور): بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، الطبعة: الأولى، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠١٤م، (ص: ٢٠ وما بعدها).
- (٤٩) اللوحة رقم ٤٤.
- (٥٠) المقرئ: (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، المتوفى عام: ٨٤٥هـ/٤٣/١٤٤٣م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الطبعة: الأولى، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٩٦م، (٦/١).

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

- محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي النَّصَّيْبِي: (المتوفى عام: ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م): (نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر)، فهرس المخطوطات بمعهد المخطوطات العربية: (ج١/٦ق).
- مجهول: (كتاب ترجمة ثغر دمياط وما وقع بها من عهد نوح عليه السلام إلى آخر دولة الترك، من كتاب العناصر لمجالس الملك الناصر، رحمه الله، أمين). مكتبة هوتون بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية.

<http://nrs.harvard.edu/urn-3:FHCL.HOUGH:3120084>

ثانياً: المصادر العربية:

- الإسنوي: (جمال الدين عبد الرحيم، المتوفى عام: ٧٧٢هـ / ١٣٣١م): طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ابن تغري بردي: (أبي المحاسن يوسف الأتابكي، المتوفى عام: ٨٧٤هـ / ١٤٩٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة: الأولى، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧م.
- حاجي خليفة: (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، المتوفى عام: ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الطبعة: الأولى، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٤١م.
- ابن حجر: (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى عام: ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م): إنباء العُمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، الطبعة: الأولى، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.
-: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، الطبعة: الأولى، القاهرة، دار أم القرى للطباعة والنشر، (بدون تاريخ).
- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المتوفى عام: ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م): المقدمة، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٦م.
- بن خلكان: (أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم، المتوفى عام: ٦٨١هـ / ١٣٨٣م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. مريم قاسم طويل، وآخر، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

- الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى عام: ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام التدمري، الطبعة: الثانية، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
-: سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة: الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- السبكي: (تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، المتوفى عام: ٧٧١هـ / ١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، د. محمود محمد الطناحي، الطبعة: الثانية، القاهرة، دار هجر، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- السخاوي: (محمد بن عبد الرحمن بن محمد، المتوفى عام: ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الطبعة: الأولى، بيروت، دار مكتبة الحياة، (بدون تاريخ).
- أبو شامة: (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، المتوفى عام ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م): تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق: السيد عزت العطار، الطبعة: الثانية، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٤م.
- الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المتوفى عام: ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وآخرون، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ابن العماد الحنبلي: (عبد الحي بن أحمد بن محمد، المتوفى عام: ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، وآخر، الطبعة: الأولى، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ابن قاضي شهبه: (أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، المتوفى عام: ٨٥١هـ / ١٤٤٧م): طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، الطبعة: الأولى، بيروت، علم الكتب، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- ابن كثير: (عماد الدين إسماعيل بن عمر، المتوفى عام: ٧٧٦هـ / ١٣٦٤م): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
-: طبقات الشافعيين، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الطبعة: الأولى، ليبيا، دار المد الإسلامي، ٢٠٠٢م.

- المقرئ: (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، المتوفى عام: ١٤٤٣هـ/١٤٤٣م):
المفقى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، الطبعة: الأولى، تونس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م.
-: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الطبعة: الأولى، القاهرة، مكتبة الآداب،
١٩٩٦م.
- ياقوت الحموي: (ياقوت بن عبد الله الرومي، المتوفى عام: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان،
الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م.
- ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:**
- إسماعيل البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،
الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (بدون-تاريخ).
-: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، الطبعة: الأولى، استانبول، وكالة
المعارف، ١٩٥٥م.
- بشار عَوّاد معروف: (دكتور): تحقيق النصوص، الطبعة: الأولى، تونس، دار الغرب الإسلامي،
٢٠٠٩م.
- خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين، الطبعة: الخامسة عشر، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- دوزي: (رينهات): تكملة المعاجم العربية، ترجمة: د. محمد سليم النعيمي، الطبعة: الأولى، بغداد،
دار الرشيد، ١٩٨٠م.
- طه محسن: (دكتور): المخطوطات العربية النادرة في تركيا، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،
الطبعة: الأولى، القاهرة، (بدون-تاريخ).
- عبد السلام محمد هارون: تحقيق النصوص ونشرها، الطبعة: الثانية، القاهرة، مؤسسة الحلبي للنشر
والتوزيع، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- عبد الهادي الفضلي: (دكتور): تحقيق التراث، الطبعة: الأولى، جدة، مكتبة العلم، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين- تراجم مصنفي الكتب العربية، الطبعة: الأولى، بيروت، دار
إحياء التراث العربي، (بدون-تاريخ).